جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

مشكل الروايات
في عدة الدنيا وبقاء هذه الأمة

إعداد الدكتور

حسن بن إبراهيم بن محمد السلمان

قسم السنة وعلومها، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مدينة الرياض، المملكة العربية السعودية

مشكل الروايات في عدة الدنيا وهذه الأمة

حسن بن إبراهيم بن محمد السلمان
قسم السنة وعلومها، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مدينة الرياض، المملكة العربية السعودية.
البريد الالكتروني: hsbd06@gmail.com

ملخص البحث:

إن علم (مشكل الحديث) من أشرف علوم الحديث؛ وذلك أنه من دقيق التفقه في نصوص الوحي، ودفعٌ لما يظهر للناظرين من وجود تعارض بينها، ثم هو مع ذلك يجب أن يسبق بدراسة للثبوت، وبذل الوسع فيه، فهو بالغ في المشقة، والأجر على قدر النصب.

وأن ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جداً، ومع هذا لا يعلم مقدار ما بقي على التعيين والتحديد إلا الله تعالى، كما لا يعلم مقدار ما مضى منها إلا الله (عز وجل).

واشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين تحتهما مطالب، وخاتمة، وفهرسين: الموضوعات، والمصادر.

المبحث الأول: فيما جاء في قدر بعض الزمان من لدن آدم (عليه السلام) إلى مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفيه سعى الباحث إلى الانتقال من آدم (عليه السلام) مروراً بالأمم وحتى مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) استنطاقاً لما في الكتاب والسنة من إشارات على أعمار تلك الأمم أو ما بينها من المدة الزمنية. **والمبحث الثاني:** في الأحاديث المشكلة في قدر الدنيا أو بقاء الأمة فيها، وتم انتقاء ثلاثة أحاديث قد وقع بسببها إشكال عند بعض الناظرين فيها، إما في الجمع بينها، أو في فهم كل حديث على حدة، وتم تقرير أنها جميعاً تدل على معنى مشترك واحد وهو: بعد آجال الأمم السابقة، وأن هذه الأمة قريبة من الساعة، دون أن يتم تحديد ولا تقريب أي زمان لذلك حيث أن هذا مما استأثر الله (سبحانه وتعالى) بعلمه.

الكلمات المفتاحية: مشكل الروايات، عدة الدنيا، مشكل الحديث، قدر الدنيا، بقاء الأمة.

The problem of Narratives in the World and this Nation

Hassan bin Ibrahim bin Muhammad Al-Salman

Department of Sunnah and its Sciences, College of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh City, Kingdom of Saudi Arabia

Email: hsbd06@gmail.com

Abstract:

The science of (the problem of hadith) is one of the most honorable sciences of hadith. This is because it is a matter of thorough understanding of the texts of revelation, and repelling what appears to onlookers of the existence of a contradiction between them. Moreover, it must be preceded by a study to prove it, and exert one's best efforts in it, as it is extremely difficult, and the reward is in proportion to the burden.

What remains of this world in relation to what has passed of it is a very small thing, and despite this, no one knows the amount of what remains to be determined and determined except by God Almighty, just as no one knows the amount of what has passed of it except God Almighty.

The research included an introduction, two sections with demands, a conclusion, and two indexes: topics and sources.

The first topic: is regarding the amount of some time from the time of Adam (ﷺ) "until the sending of the Prophet (ﷺ)," and in it the researcher sought to move from Adam (ﷺ) "through the nations until the sending of the Prophet (ﷺ)," interrogating the indications in the Qur'an and Sunnah regarding the ages of those nations or the period of time between them. **The second topic**: is in the problematic hadiths regarding the fate of the world or the survival of the nation in it. Three hadiths were selected due to which some of those who looked at them had problems, either in combining them, or in understanding each hadith separately, and it was determined that they all indicate one common meaning, which is: After the deadlines of previous nations, and that this nation is close to the Hour, without specifying or approximating any time for that, since this is something that God Almighty has limited to His knowledge.

Keywords: the Problem of Narratives, the Burden of the World, the Problem of Hadith, the Fate of the World, the Survival of the Nation.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله؛ وبعد،،،

فإن علم (مشكل الحديث) من أشرف علوم الحديث؛ وذلك أنه من دقيق التفقه في نصوص الوحي، ودفعٌ لما يظهر للناظرين من وجود تعارض بينها، ثم هو مع ذلك يجب أن يسبق بدراسة للثبوت، وبذل الوسع فيه، فهو بالغ في المشقة، والأجر على قدر النصب.

وقد اختلف الأولون في مدة الدنيا، وأسعدهم من لم يتعرض في ذلك لتقريب زمني لقيام الساعة تصديقاً لقول الله (ﷻ): {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة الأعراف: ١٨٧].

وعامة ما ذكره مؤرخو الإسلام من ذلك هو مأخوذ عن أهل الكتاب صراحة، وهو بيّن البطلان، كما ستراه إن شاء الله.

وكذا اختلفوا في مدة بقاء هذه الأمة، وبعض هذا الاختلاف تابع للاختلاف في مدة الدنيا، وبعضه مستقل عنه كما سيأتي.

والمهم من هذا الاختلاف ما كان القول به مستنداً إلى دليل من السنة، لأن السنة وحي، وما صح منها فهو حق؛ ولذ لا تتعارض أخبارها أبداً.

ولهذا أردت أن أجمع هنا مشكل الأحاديث أصالة وفي طيات التقرير كذلك استشهاد كثير بالقرآن.

ومنهج البحث في تخريج الأحاديث أن ما كان منها أصلاً ولم يُذكر عرضاً فإني أخرجه في صلب البحث، وأستغني بمشهور الكتب عن غيره، إلا إن كان

في الصحيحين فإني أقتصر على العزو إليها.

وأما الكلام في الرواة فإنه كذلك من كان مخرجاً له في الصحيحين ولم يترجح جرحه وليس فيه جرح نسبي يُحتاج إليه فإني أقتصر على الإشارة إلى تخريج الشيخين له، وما سوى ذلك فقد فنقلت كلام الحفاظ على من يدور عليه الإسناد ومن هو محل الإشكال في الإسناد دون سائر من فيه من الرواة الذين ليس عليهم المدار.

والتزمت الحكم على كل حديث ذكرته في هذا البحث ما لم يكن في الصحيحين فتخريجها كاف عن كلام فيه.

وجعلته على مبحثين:

الأول: فيما جاء في قدر بعض الزمان من لدن آدم (عليه السلام) إلى مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم).

وتحته مطالب:

- **المطلب الأول:** في عمر آدم (عليه السلام).
- **المطلب الثاني:** في المدة بين آدم ونوح (عليهما السلام).
- **المطلب الثالث:** في المدة بين الطوفان إلى هود ثم صالح (عليهما السلام).
- **المطلب الرابع:** في المدة بين صالح وإبراهيم (عليهما السلام)، ثم إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم).

المبحث الثاني: في الأحاديث المشكلة في قدر الدنيا أو بقاء الأمة فيها.

- **المطلب الأول:** حديث أبي سعيد (رضي الله عنه)
- **المطلب الثاني:** حديث ابن عمر (رضي الله عنهما)
- **المطلب الثالث:** حديث سهل بن سعد (رضي الله عنه).

ثم الخاتمة

وأسأل الله أن يكون هذا البحث من العلم النافع، وأن أكون فيه قد هديت وسددت، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

المبحث الأول

فيما جاء في قدر بعض الزمان من لدن آدم (عليه السلام) إلى مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الأول

في عمر آدم (عليه السلام)

فيه أحاديث، أقواها:

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، رواه الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "**لما خلق الله آدم**" الحديث، وفيه طول، وفيه "**هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم لم يكتب له إلا أربعين سنة، قال: يا رب ما هذا؟ قال: هذا ابنك داود، وقد كتب الله عمره أربعين سنة، قال: أي رب، زده في عمره، قال: ذاك الذي كتبت له، قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة، قال: أنت وذاك، اسكن الجنة، فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، وكان آدم يَعُدّ لنفسه، فأتاه ملك الموت فقال له آدم: قد عجلتَ! قد كتب لي ألف سنة، قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود**".

رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، باب: ومن سورة المعوذتين (٣٣٦٨).

والنسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا عطس (١٠٠٤٦، ١٠٠٤٨).

والبزار (١٥/١٥٠).

وابن خزيمة في التوحيد (١/١٦٠) -وعنه ابن حبان (١٤/٤٠/ح٦١٦٧)-.
والحاكم في المستدرك (١/١٣٢) -وعنه البيهقي في الكبرى (١٠/٢٤٧)-.
كلهم من طريق صفوان بن عيسى عن الحارث به.

قال الترمذي: "**حسن غريب من هذا الوجه**"، وقال البزار: "**وهذا الحديث لا نعلم رواه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة إلا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب**، ولا نعلم روى الحارث عن سعيد عن أبي هريرة إلا هذا الحديث"، ورُوي عن أنس بن عياض متابعاً لصفوان الحديث مختصراً دون موضع الشاهد (عند ابن أبي عاصم في السنة ٢٠٦).

والحارث وثقه أحمد بن صالح المصري، وقال ابن حبان: كان من المتقنين، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال أبو حاتم: روى عنه الدراوردي أحاديث منكرة، ليس بالقوي، يكتب حديثه.

فكأن أبا حاتم يراه ينحط عن مرتبة الثقات، لكنه لا ينزله لمرتبة الضعفاء، وهو معروف باقتصاده الشديد في التعديل، ولذا فالحارث لا ينزل عن مرتبة الصدوق، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يهم[(١)].

وقد تابعه بعض من لا يعتبر بروايته، لكن رواه الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) من قوله[(٢)].

ومحمد بن عجلان أعلم بسعيد المقبري من الحارث، وخالف الجادة المسلوكة في غالب أحاديث المقبري أعني بجعله الحديث عن أبيه عن عبد الله بن سلام

(١) **يُنظر كلام الحفاظ فيه:** تهذيب الكمال (٥/٢٥٣)، وتقريب التهذيب (١٠٣٧).
(٢) رواه النسائي في الكبرى (١٠٠٤٧)، والفريابي في القدر (١)، وعنه الآجري في الشريعة (٤٣٤)، وعنه ابن بطة في الإبانة (١٥٩١).

وليس عن أبي هريرة، وهذا يدل على أنه حفظه، وهذا الصواب والله أعلم، وأن الحديث من مراسيل أهل الكتاب، وقال النسائي عن رواية الحارث: "هذا حـــديث منكر، وقد خالفه ابن عجلان".

وللحديث طريق آخر دون ذكر عمر آدم (عليه السلام)، وهو ما رواه هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ)[(١)].

وتابعه عليه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه لكنه خالفه فـــي الإســـناد فجعله عن عطاء بن يسار، وزاد في المتن زيادات؛ منها: "وكان عمر آدم كـــذا وكذا"؛ بالإبهام[(٢)].

وهشام وإن جعله أبو داود أثبت الناس في زيد بن أسلم إلا أن أكثر الحفاظ أنزلوه من رتبة أهل الإتقان، فعلي بن المديني قـــال: صالح، ولـــيس بـــالقوي، وأحمد بن حنبل قال مرة: كذا وكذا، ومرة: لم يكن بالحافظ، ومرة: ليس بمحكم للحديث، وقال أبو زرعة: محله الصدق، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وأما ابن معين والنسائي فضعفاه مرة، ووصفاه أخرى بأنه ليس بالقوي[(٣)].

والصواب في الحديث –والله أعلم– أنه عن عبد الله بن سلام، ومـــن جعلـــه عن أبي هريرة كهشام بن سعد إن كان حفظه فهو موقوف عليه، وقد كان (رضي الله عنه) يجلس "فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن كعب ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله (ﷺ) عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله (ﷺ)"

(١) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله (ﷺ)، باب: ومن سورة الأعراف (٣٠٧٦)، وأبو يعلى (٢٦٣/١١) وغيرهما من طرق متعددة عن هشام، **قال الترمذي: "حسن صحيح".**

(٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦١٤/٥) وغيره.

(٣) يُنظر: تهذيب الكمال (٢٠٤/٣٠).

كما يقول التابعي الثقة بسر بن سعيد[(١)].

وللحديث شاهد من **حديث ابن عباس** (رضي الله عنهما)، وقد رُوي من طرق أقواها: علي بن زيد بن جُدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) في قصة هبة آدم لداود (عليه السلام) أربعين سنة من عمره، وفيه: "وكان عمر آدم ألف عام"[(٢)]، ورواه ابن جُدعان كذلك عن غير واحد عن الحسن البصري مرسلاً[(٣)]، **وعلي لين الحديث، إضافة إلى أنه كان رفاعاً كما يقول تلميذه شعبة**[(٤)]، فالإسناد ضعيف.

وروى عتّاب بن بَشير عن خُصيف بن عبد الرحمن عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) موقوفاً عليه نحو الرواية المرفوعة[(٥)]، وعتاب: صدوق عند أكثر الحفاظ وله أوهام، وهو يروي عن خصيف منكرات أرى الحمل فيها على خصيف كما يقول الإمام أحمد[(٦)]، وخُصيف صدوق سيئ

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٧/٣٥٩).

(٢) رواه **أبو داود الطيالسي** (٢٨١٥)، **وعفان وأسود بن عامر وروح بن عبادة** (عنهم الإمام أحمد ٢٢٧٠، ٢٧١٣، ٣٥١٩ على التوالي)، **والحسن بن موسى** (عنه ابن أبي شيبة ٣٣٩١٧)، **وأبو سلمة التبوذكي** (عند البيهقي ١٠/٢٤٧) وغيرهم عن حماد بن سلمة عن ابن جُدعان به.

(٣) رواه عن حماد بن سلمة عن ابن جُدعان مقروناً بالإسناد الأول: **هدبة بن خالد** (عند أبي يعلي ٥/٩٩/٢٧١٠، والفريابي في القدر ح٤)، **وحجاج بن منهال** (عند الطبراني في الكبير ١٢/٢١٤).

(٤) ستأتي الإشارة إليه في المبحث الثاني.

(٥) رواه سعيد بن منصور في التفسير (٩٦٧).

(٦) **يُنظر في ترجمته:** تهذيب الكمال (١٩/٢٨٦)، وتقريب التهذيب (٤٤٥١).

الحفظ، خلط بآخره، وهو أقل ضبطاً عند الحفاظ من عتاب[(١)].

وروى عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) موقوفاً عليه أيضاً نحوه[(٢)]، **وعطية صدوق يخطئ كثيراً**، وهو مدلس[(٣)].

فالخبر عن ابن عباس الأقوى أنه موقوف عليه، هذا أشبه الروايات.

والثابت عن سعيد بن جبير أن هذا من قوله هو وليس من قول ابن عباس، كما رواه شعبة وغير واحد عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد[(٤)].

وفي الباب مرفوعاً روايات كثيرة لا يشتغل بها.

والموقوف عن الصحابة أو من دونهم في هذا المعنى يخشى من أخذه عن أهل الكتاب، فإنه يدور حول نبي من أنبيائهم، وسبق ذكر حكاية عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) لهذا الخبر، والإسناد إليه جيد، **وهو أوثق وأعلم إسرائيلي في هذه الأمة** خلا عيسى بن مريم (عليه السلام)، فهذا خبر إسرائيلي جيد.

وقد قال الله تعالى عن نوح (عليه السلام): {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ} [سورة العنكبوت:١٤].

مع الفترة بينه وبين أبينا آدم (عليه السلام)، وما استروح إليه بعضهم من أن معجزة نوح (عليه السلام) هي في طول عمره تخرص، وليس في القرآن ما يساعد عليه، فإذا ثبت هذا العمر المديد لنوح (عليه السلام) في دعوة قومه فقط، خلا ما عاشه بعد ذلك، تبين لك أن أعمار القرون الأولى قبله كانت نحو هذا أو تزيد.

---

(١) **يُنظر في ترجمته:** تهذيب الكمال (٨/٢٥٧)، وتقريب التهذيب (١٧٢٨).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/٥٥٥).

(٣) **يُنظر في ترجمته:** تهذيب الكمال (٢٠/١٤٥)، وتقريب التهذيب (٤٦٤٩).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٠/٥٥٨).

المطلب الثاني

في المدة بين آدم ونوح (عليهما السلام)

أصح ما رُوي في ذلك مرفوعاً ما رواه معاوية بن سلّام عن زيد بن سلّام عن جده أبي سلّام الحبشي عن أبي أمامة (رضي الله عنه) أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال: يا نبي الله، أنبياً كان آدم؟ قال: نعم، مكلماً، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشرة قرون.

رواه عثمان الدارمي في الرد على الجهمية (٢٩٩)، ومن طريقه: الحاكم في المستدرك (٢/٢٨٨)، وعنه البيهقي في الأسماء (٤٤٠).

وأبو حاتم الرازي (كما في التفسير لابنه ٢٦٩٦/٨) ومن طريقه: ابن عساكر في تاريخه (٤٤٥/٧).

ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه (كما عند ابن حبان ٦١٩٠).

وأحمد بن خليد (كما عند الطبراني في الكبير ١١٨/٨، والأوسط ١٢٨/١، والشاميين ١٠٥/٤، ومن طريقه ابن عساكر ٤٤٦/٧).

وعبد الكريم بن الهيثم الدير عاقولي (مصنفات أبي جعفر ابن البختري ٧٦٨) ومن طريقه ابن عساكر (٤٤٦/٧).

كلهم عن أبي توبة الربيع بن نافع الحلبي عن معاوية بن سلام عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن أبي أمامة (رضي الله عنه)، **قال الطبراني:** "لا يروى هذا الحديث عن أبي أمامة إلا بهذا الإسناد، تفرد به: معاوية بن سلام"، وفي بعض هذه الطرق إسقاط لذكر المدة بين نوح وإبراهيم (عليهما السلام)، وأراه اختصار لا اختلاف لأنه واقع على الرواة عن أبي توبة.

وهذا الإسناد جيد مسلسل بالثقات، وقد خرج مسلم به أحاديث كثيرة عن جمع من الصحابة، بل وعن أبي أمامة أيضاً حديثاً واحداً وفيه التصريح

بالسماع بين أبي سلام وأبي أمامة(١).

إلا أن الحديث غريب جداً، وآخر لفظة فيه (كم كان بين نوح وإبراهيم) منكرة، وسيأتي بيان ذلك.

وصح ابن عباس (رضي الله عنهما) **قوله:** "كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون، كل أمة منهم على شريعة من الحق"، وفي لفظ: "كلهم على شريعة من الحق"(٢).

ولعل له في ذلك أثارة من علم نبوي –يعضد ذلك رواية أبي أمامة– أو خبر إسرائيلي يرتضيه.

وهذا –أعني المدة بين النبيين– معقولة، فإن الشرك الذي عليه قوم نوح (عليه السلام) كان شديداً، وكان تعصبهم له غاية، وهذا بيّن من سياق القرآن لدعوة نوح (عليه السلام) مع قومه، وهذا لا يأتي إلا بعد مدد متطاولة بين التوحيد الخالص

(١) كما في الحديث رقم (٨٠٤)، وما وقع في المراسيل لابن أبي حاتم (٨١٣) فيما نقله عن أبيه بشأن أبي سلام: "روى عن ثوبان والنعمان بن بشير وأبي أمامة وعمرو بن عبسة مرسل"، فالإرسال عائد إلى روايته عن عمرو بن عبسة، يدل لذلك ما في الجرح والتعديل (٤٣١/٨) إذ أنه لما ذكر الثلاثة الصحابة الأولين وزاد سلمى (استظهر المعلمي أن الصواب: أبي سلمى) أعاد الفعل فقال: "وروى عن عمرو بن عبسة مرسل"، ويدل لذلك أيضاً أن ابنه سأله في المراسيل عن سماع أبي سلام من ثوبان فقال: "قد روى عنه، ولا أدري سمع منه أو لا"، فكأنه غير مستبين عنده سماع من عدمه إلا في عمرو بن عبسة، وله عنه أحاديث مصرح فيها بالسماع بهذه السلسلة التي يرتضيها أبو حاتم غير الحديث الذي في مسلم.

(٢) رواه البزار (٩٩/١١) برقم: (٤٨١٥)، وابن جرير (٦٢١/٣)، وابن أبي حاتم (٢٦٩٦/٨)، والحاكم (٤٨٠/٢)، من طريق همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

زمن آدم (عليه السلام) وحتى زمنهم، فإذا كانت أعمارهم طويلة، وكان الشرك لا يأتي إلا شيئاً فشيئاً، جيلاً بعد جيل، حتى ينمحي الحق فتقع الحاجة حينها لإرسال الرسل، تبيّن أن المدة طويلة.

ونوح (عليه السلام) "أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" كما يقوله أبونا آدم (عليه السلام) للناس يوم القيامة[1].

ومن غريب التوافقات أن عمرو بن لحي الذي أدخل الشرك على العرب هو عاشر الآباء لمن كان من نسله زمن النبي (صلى الله عليه وسلم)[2]، فكأن عشرة أجيال من بداية الشرك كفيلة بانطماس التوحيد.

وقد نبأ الله إدريس (عليه السلام) بين آدم ونوح (عليهما السلام)، وهذا يدل على تأخر طروء الشرك بعد آدم (عليه السلام)، إذ بعث النبي يدل على وجود أصل الإيمان في الناس، على الضد من بعث الرسول الذي إنما يكون -في الغالب- لرد الناس إلى التوحيد.

ودليل توسطه بينهما زمناً -على الأظهر- قول الله تعالى:

{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ} [سورة مريم: ٥٨].

فإن المشار إليه في (أولئك) الأنبياء المذكورون في السورة، وهم: موسى

---

(١) كما في حديث أنس (رضي الله عنه) في الشفاعة الكبرى الذي رواه البخاري (٤٤٦٧)، ومسلم (١٩٣).

(٢) عمرو هو جد خزاعة، ومن نسله من الصحابة: عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبدِ نُهم بن خزيمة بن جهمة بن غاضرة بن حُبشية بن كعب بن عمرو، الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/١٩٠) ط.الخانجي.

وهارون وزكريا ويحيى وعيسى (عليهم السلام)، وهؤلاء المقصودون بذرية إسرائيل، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام)، وهم المقصودون بذرية إبراهيم، وإبراهيم (عليه السلام) وهو المقصود بـــ(ممن حملنا مع نوح)، بقي إدريس (رضي الله عنه) فهو المقصود بـــ(من ذرية آدم)[1].

فتحصل من هذا أن المدة بين آدم ونوح (عليهما السلام) تتسع لأجيال متعاقبـــة، وهـــذه الأجيال أعمارها طويلة، فإن كانت عشرة قرون كما في الخبرين السابقين فبها، وإلا فهي نحوها.

مسألة في المراد بالقرن:

بقي أن يقال: إن القرون هنا المراد بها الأمة من الناس، وأهل كل مدة، وهذا بيّن من اشتقاقه، فإنه مشتق من الاقتران، فالقوم المقترنون في زمان من الـــدهر هم قرن[2]، وهذا الموافق لاستعمال الوحي لهذه الكلمة، وهو الموافـــق لحقيقـــة الحال.

فأما الوحي فإن الله ذكر القرن في ثمانية عشر موضعاً من كتابه كلهـــا فـــي الأمة أو أهل كل مـــدة؛ كقولـــه (تعالى): {أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ} إلى قوله: {وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ} [سورة الأنعام:٦]، وقوله (تعالى): {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ} [سورة السجدة: ٢٦]،

---

(١) مجموع الفتاوى لأبي العباس ابن تيمية (٢٣١/١٥)، والبداية والنهاية (٢٣٤/١-٢٣٦)، وفي المسألة نزاع مشهور.

(٢) هذا معنى ما قاله الزجاج في معاني القرآن (٢٢٩/٢)، ونقله عنه الأزهري في تهـــذيب اللغة (قرن).

وقوله (سبحانه وتعالى): {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} [سورة يس:٣١]، إلى آخر الآيات.

وقال النبي (ﷺ): "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع"(١)، وقال عن الضب: "لا أدري لعله من القرون التي مسخت"(٢)، وقال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"(٣)، وقال: "بعثت من خير قرون بني آدم، قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه"(٤)، وغيرها.

وأما حديث عبد الله بن بسر (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال له: "لتبلغن قرناً"(٥)، فإن

---

(١) رواه البخاري (٧٣١٩).

(٢) رواه مسلم (١٩٤٩).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) رواه البخاري (٣٥٥٧).

(٥) رواه الإمام أحمد (١٧٦٨٩)، ومن طريقه الضياء في المختارة (٩/٥٧) برقم: (٣٩)، عن عصام بن خالد، ورواه كذلك الضياء برقم (٣٧) بإسناد آخر إلى يحيى بن صالح الوحاظي كلاهما عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبدالله بن بسر... الحديث، وهذا إسناد جيد، فالحسن بن أيوب قال فيه الإمام أحمد: ما أرى به بأساً كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٣/١)، والوحاظي من رجال الشيخين، وللحديث طريق آخر رواه الحاكم (٤/٥٠٠) برقم: (٨٦٢٠) من طريق إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني عن أبيه عن عبد الله، وإبراهيم فيه جهالة، وروي عن الإمام أحمد أنه قال: "ليس في القرن ومقداره شيء أثبت من حديث عبد الله بن بسر أن النبي (ﷺ) قال: يعيش هذا الغلام قرناً، قال: فعاش مائة سنة"، رواه الخلال في السنة (٢/٤٨٥).

من احتج به -كالواقدي والفيروز آبادي[١]- على أن القرن مئة سنة بناه على أن عبد الله عاش كذلك، ولعل كذلك من قال بأنه مات وله مئة سنة بناه على حديث القرن، مع أنه قد اختلف في عمره؛ فقيل: مات وهو ابن أربع وتسعين، وعليه فيقال: لتبلغن أهل مدة وطبقة غير طبقتك، وقد مات سنة ٨٨ وهي -عند ابن تيمية[٢]- داخلة في القرن الثالث من حديث: "خير الناس قرني"، لأن العبرة في كل قرن بجمهورهم، وجمهور الصحابة انقرضوا بانتهاء خلافة علي (رضي الله عنه)، والتابعين زمن عبد الملك بن مروان، وأتباعهم إلى سقوط دولة الأمويين، فقد بلغ عبد الله بن بسر (رضي الله عنه) قرناً غير قرنه.

ولعل من قال بتحديد مدة للقرن بناه على عمر الناس، فمن نظر إلى المدة التي لا يكاد يتجاوزها أحد جعله مئة ونحوها، ومن نظر إلى جملة ما لا يتجاوزه غالب الناس جعله ثمانين وما حولها، ومن نظر إلى متوسط أعمار الناس جعله أربعين وما حولها[٣]، فأصل التحديد راجع إلى الطبقة أصلاً، والطبقة في أمتنا هذا تقدير أعمارها، لكن من أراد الحديث عن أمم سابقة طويلة الأعمار فلا يصح أن يستحضر للقرن أعماراً كأعمارنا[٤].

---

(١) في القاموس (قرن).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٣٥٧)، وهو يقارب ما ذكره ابن خلدون في حساب الأجيال، فإن مجموع ثلاثة قرون - أجيال عند ابن خلدون ١٢٠ سنة (تاريخ ابن خلدون ١/٢١٣-٢١٥، ٧/٥٠٣)، وابن تيمية جعل القرن الثالث ينتهي مع سقوط بني أمية سنة ١٣٢ يعني زاد عشر سنين، ولو حُسب قرن الصحابة من موت النبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه يكون مطابقاً تماماً، وعلى كل فالمسألة تقريبية.

(٣) ومن هنا لحظ ابن خلدون ما أصله في حساب الأجيال في الأنساب في مقدمته.

(٤) قال ابن سيده في المحكم (٦/٣٦٣): "**والقرن في قوم نوح: على مقدار أعمارهم، وفي قوم موسى وعيسى وعاد وثمود: على قدر أعمارهم**".

إذا ثبت هذا تبين لك أن عشرة قرون تعني عشرة طبقات مـــن النـــاس، وإذ كانت الأعمار ألف سنة ونحوها فالمدة نحو عشرة آلاف سنة أو أقل.

فالقول بأن المراد بعشرة قرون بين آدم ونوح هي ألف سنة كل قرن مئة غلط.

وهو يشبه غلط ابن عساكر (رحمه الله) حين فسر القرون الفاضلة بمئة سنة وأن طبقة أبا الحسن الأشعري (رحمه الله) منهم[(١)].

وقد روي عن وهب بن منبه أنه قال: "بين نوح وآدم عشـــرة آبـــاء، وبـــين إبراهيم ونوح عشرة آباء"[(٢)]، فكأن هذا تفسير للقرن، قال ابـــن جريـــر: "وأمـــا وهب بن منبه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل، وأن ذلـــك الـــى زمنـــه خمسه آلاف سنه وستمائة سنة، وجميع مدة الدنيا عند وهب ستة آلاف سنة، وقد كان مضى عنده من ذلك الى زمانه خمسه آلاف سنة وستمائة سنة وكانت وفاة وهب بن منبه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة، فكأن الباقي من الـــدنيا علـــى قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه، مائتا سنة وخمس عشرة سنة"[(٣)].

وذكر ابن كثير الخلاف فقال: "فإن كان المراد بالقرن مائة سنة –كمـــا هـــو المتبادر عند كثير من الناس– فبينهما ألف سنة لا محالة...، وإن كـــان المـــراد بالقرن: الجيل من الناس، كما في قوله تعالى.. فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين، والله أعلم"[(٤)].

(١) تبيين كذب المفتري ص١٤٥، ورد عليه ابن المبرد في جمع الجيوش والدساكر علـــى ابن عساكر ص١٥٧.
(٢) تاريخ دمشق (٢٤٢/٦٢).
(٣) تاريخه (٢٣٧/٢).
(٤) البداية والنهاية (٢٣٧/١).

المطلب الثالث

في المدة بين الطوفان إلى هود ثم صالح (عليهما السلام)

المستفيض هو أن الطوفان قد عم الكفار في الأرض أجمعين استجابة من الله لدعوة نبيه نوح (عليه السلام) كما قال الله (عز وجل): {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا} [سورة نوح:٢٦]، وقال (سبحانه وتعالى): {وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ} [سورة الأنبياء: ٧٦]، ويدل لذلك قول الله (سبحانه وتعالى): {إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ} [سورة الحاقة: ١١]، فإن هذا خطاب للعامة فيه تذكير بالنعمة عليهم.

إذا ثبت هذا فإن ما قيل حول طول المدة بين آدم ونوح (عليهما السلام) يقال هنا، فإن البشر ابتدؤوا من جديد على التوحيد مع نبيهم نوح (عليه السلام)، ويحتاجون قروناً طويلة حتى يطرأ عليهم الشرك، ويضعف في قلوبهم العلم بسبب وقوع الطوفان.

وعاد جاؤوا بعد قوم نوح (عليه السلام) بدليل قول الله (سبحانه وتعالى) على لسان نبيه هود (عليه السلام): {وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} [سورة الأعراف: ٦٩].

وقد انتشر الخلق في زمنهم، وليسوا هم أهل الأرض فقط، يشير لهذا قول هود (عليه السلام) لهم: {وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً} **[سورة الأعراف: ٦٩]**، أي: على بني زمانكم، ويشير لذلك قول هود (عليه السلام) أيضاً: {وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} [سورة الشعراء: ١٣٠]، ثم إنه لا خلاف أن قوم عاد –بما فيهم هود (عليه السلام)– ليسوا أجداداً للبشرية، فعلم بذلك أن الخلق كانوا منتشرين، لكن قد مكن الله لعاد على بني زمانهم فكانوا خلفاء لقوم نوح (عليه السلام) في التمكين.

فهذا عامل يضاف في الدلالة على طول المدة بين نوح وهود (عليهما السلام) وهو: انتشار الخلق، مع شيوع الشرك في بعضهم -وهم عاد- شيوعاً متأصلاً حتى قالوا دلالةً عليه: {إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ} [سورة الشعراء: ١٣٧]، أي ما هم عليه من الشرك، وقالوا: {أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا} [سورة الأعراف: ٧٠].

ومع هذا كله يُستحضر أن أعمارهم كانت طويلة؛ لكن ربما أدون من أعمار قوم نوح (عليه السلام) ومن قبلهم، ودلالة ذلك -والله أعلم- التفاضل بين البشر في الأجسام الذي ذكرهم به هود (عليه السلام)، فلعل ذلك النزول في الأجسام رافقه نزول في الأعمار، وفي الحديث: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ... فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[(١)].

فهذا يُشعر بأن المدة بين الطوفان وهود (عليه السلام) كانت طويلة، وأنها تتطلب قروناً كثيرة تنتشر في الأرض، وينتشر في بعضها الشرك حتى لا يُعرف غيره.

وقد كانت ثمود موالية لعاد في التمكين، كما قال لهم نبي الله صالح (عليه السلام): {وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ} [سورة الأعراف: ٧٤]، وهذا يدل على أنهم من القرون الأولى المعمرة.

وكذلك قالوا ما يدل على تمكن الشرك فيهم: {أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا} [سورة هود: ٦٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

المطلب الرابع

في المدة بين صالح وإبراهيم (عليهما السلام)، ثم إلى نبينا محمد (ﷺ)

وقد كانت ثمود آخر القرون الأولى التي قص الله علينا خبرهم، ثم طوى الله ذكر القرون حتى ذكر خليله إبراهيم (ﷺ)، والذي يشير إلى هذه القرون المطوية أمور؛ منها:

أن الله (سبحانه وتعالى) قال على لسان نبيه موسى (عليه السلام): {أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ} [سورة إبراهيم: ٩].

وبعيد أن يحال رد العلم فيهم إلى الله على معنى: العلم بتفصيل أحوالهم، فإن الله هو أعلم بتفصيل حال كل الأمم حتى الأمم المسامتة للأمم أخرى، لكنها إحالة مختصة بمن أشير إليهم بمن بعد الأقوام الثلاثة.

وقد أشار القرآن إلى هذه الأمم المكذبة الثلاثة، ثم ذكر قوم لوط ومدين وغيرهم، حتى ذكر فرعون وهو آخر الأمم المهلكة الهلاك العام، كما قال (سبحانه وتعالى): {وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً} [سورة الحاقة: ٩-١٠]، إذ بعده أنزل الله التوراة مؤذنة بسنة إلهية أخرى يجعل الله فيها عذاب الأمم المكذبة على أيدي عباده المؤمنين(١) إذ شرع لهم الجهاد كما قال (سبحانه وتعالى): {قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ} [سورة التوبة: ١٤]، وقال: {فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ} [سورة الأنفال: ٣٥]،

---

(١) **ذكر معناه:** ابن تيمية في الجواب الصحيح (٥/١٠٠-١٠٢)، وابن كثير في التفسير (٦/٢٣٩) وغيرهما.

فإن المراد بالعذاب هنا: قتلهم وأسرهم يوم بدر.

وقد قال تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [سورة القصص: ٤٣].

فروى عوف الأعرابي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) موقوفاً عليه: "ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض، غير القرية التي مسخوا قردة، ألم تر أن الله يقول" ثم ذكر الآية[(١)].

فهذا وجهٌ مما يدل على وجود قرون كثيرة مطوية بين إبراهيم (عليه السلام) وثمود.

وقال الله تعالى: {وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا} [سورة الفرقان: ٣٨-٣٩].

والمراد بالقرون الكثيرة المهلكة -والله أعلم- أي: بين أصحاب الرس وبين عاد وثمود، لأن الله أخبر أن ثمود خلفت عاداً، وأصحاب الرس ليس في كتاب الله تفصيل لحالهم، ولكنهم قبل موسى (عليه السلام) على ما تقدم من أن فرعون

(١) رواه البزار (كما في كشف الأستار ٢٢٤٧) من طريق **يحيى القطان**، وابن جرير في تفسيره (٢٥٩/١٨) من طريق **غندر وعبد الوهاب الثقفي**، وابن أبي حاتم كذلك (٢٩٨١/٩)، من طريق **هوذة بن خليفة**، كلهم عن عوف موقوفاً، وهذا إسناد جيد، وعوف من رجال الشيخين، وأبو نضرة من رجال مسلم الذي روى لهم قطعة صالحة، وهو من أصحاب أبي سيعد الخدري (ﷺ)، ورواه البزار (كما في كشف الأستار ٢٢٤٨) من طريق **عبد الأعلى**، والحاكم في المستدرك (٤٤٢/٢) وغيره من طريق **روح بن عبادة** عن عوف مرفوعاً، والوقف أصح وأثبت، فإن رواته أكثر وأثبت ولهم اختصاص بعوف، ورجحه -أي الوقف- ابن كثير في البداية (٥/٢)، وغيره.

آخر الأمم المهلكة، والشقة بين موسى وإبراهيم (عليهما السلام) غير بعيدة جداً، يدل لذلك أن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام) جاء أهل مصر بالبينات، وذكّر مؤمن آل فرعون قومه به لما جاء موسى (عليه السلام) كما قال الله: {وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ} [سورة غافر: ٣٤].

وإنما يذكرهم بشيء قريب يعرفونه، وكانت النبوة قد انحصرت في ذرية إبراهيم (عليه السلام) كما قال الله (سبحانه وتعالى): {وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ} [سورة العنكبوت: ٢٧]، وقال أيضاً: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ} [سورة الحديد: ٢٦]، وليس ثمة إلا إسماعيل –ولا نبي من نسله سوى محمد (صلى الله عليه وسلم) أو إسحاق (عليهما السلام).

فإن كان نبي أصحاب الرس بعد إبراهيم (عليه السلام) فهو من نسله من إسحاق(عليه السلام)، وهو قبل موسى (عليه السلام)، وعليه فالقرون الكثيرة المهلكة بين أصحاب الرس وبين عاد وثمود لا تسعها الأنبياء من ذرية إبراهيم قبل موسى (عليه السلام)، لقرب العهد، والله جعلها كثيرة، فمنها قرون قبل إبراهيم، وإن كان أصحاب الرس قبل إبراهيم (عليه السلام) فذلك ما كنا نبغ، فإذا كان بينهم وبين عاد وثمود قروناً كثيرة، فبين ثمود وإبراهيم (عليه السلام) قروناً أكثر.

والله (سبحانه وتعالى) يقول: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ} [سورة الإسراء: ١٧]، وفي هذا من المكاثرة ما هو بيّن.

وكذلك قال الله (سبحانه وتعالى) بعد حكاية خبر قوم نوح، ثم خبر عاد أو ثمود: {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ} [سورة المؤمنون: ٤٢-٤٤]، فذكر أنه أنشأ قروناً

بعد ثمود، ثم أرسل الرسل تترا، وكل هذا قبل موسى (عليه السلام) لقوله بعد ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ} [سورة المؤمنون: ٤٥].

وهذا يفيد كثرة القرون المهلكة وتتابع الرسل وكثرتهم بعد ثمود، فلعل هذه رسل هذه الفترة هم أكثر من أشار لهم الله (سبحانه وتعالى) في قوله:{وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} [سورة النساء: ١٦٤]، وقد قال قبلها: {إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ} [سورة النساء: ١٦٣]، فأعاد الفعل مرة أخرى مع أن إبراهيم (عليه السلام) ومن بعده من ذريته هم بعد نوح (عليه السلام).

وبالجملة فالتاريخ من زمن إبراهيم (عليه السلام) معروف.

وهذا وجه آخر

ووجه ثالث وهو أن مقام إبراهيم (عليه السلام) هو موضع قدميه، وقد انطمست معالم الأصابع من مسح الناس عليه، والمسح مؤذن باتساع موضع القدم لا نقصانه، ومع ذلك فإن مقدار القدم طولاً ٢٧ سنتيمتراً، وعرضها ١٤ سنتيمتراً[(١)]، وهذا كحجم أقدام الناس اليوم، فهذا يدل على أن زمن إبراهيم (عليه السلام) قريب لنا لا للأمم المعمرة، فكأن الخلق من لدن إبراهيم (عليه السلام) وإلى أن تقوم الساعة واحد، فعلم أن التدرج المذكور في حديث: "فما زال الخلق ينقص حتى الآن"، قد مر بقرون طويلة بعد ثمود حتى بلغ زمن إبراهيم (عليه السلام) فوقف على ما نحن عليه[(٢)].

(١) كما في (مقام إبراهيم (عليه السلام)) لمحمد طاهر الكردي ص١١٤.

(٢) يُشكل على هذا مساكن ثمود المعروفة الآن بـ(مدائن صالح) فإنها بقدر أجسامنا، فأما المسعودي (ت: ٣٤٦) فلم يره مشكلاً؛ لأن عاداً هم الذين وُصفوا بالزيادة في البسطة=

وهذا يبين بطلان قول الواقدي: "قول الله (ﷻ): {**وقروناً بين ذلك كثيراً**} فكان بين نوح وآدم عشرة قرون، وبينه وبين إبراهيم عشرة قرون، فولد إبراهيم خليل الله على رأس ألفي سنة من خلق آدم"(١).

وقد بعث الله خليله (عليه السلام) على حين فترة من الرسل كما بعث نبيه محمداً (ﷺ) كذلك؛ فإن إبراهيم (عليه السلام) قال لزوجه سارة: "ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك"، ولم يستثن لوطاً (عليه السلام) فلعله يعني الأرض التي هم فيها، ورُوي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قول الله (تعالى): {**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**} [سورة النحل: ١٢٠]، أنه لم يكن في زمانه من قومه أحد على الإسلام

=كما في مروج الذهب (٤٢/٢)، وقال الإصطخري (ت:٣٤٦): "ورأيت تلك الجبال ونحتهم الذين قال الله {**وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**} ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في أضعاف جبال" كما في المسالك ص١٩، وقال البكري (ت: ٤٨٧): "ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا هذا، وهذا يدل على أن أجسامهم كانت كأجسامنا لا كأجسام عاد الأولى" كما في المسالك (٩٧/١)، وأما ابن حجر فقال: "ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال" كما في الفتح (٣٦٧/٦)، وأما ما قاله ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه (٩٧/٨): "ومدائن صالح التي بالقرب من العلا في طريق الحاج من الشام بلد إسلامي، وصالح المنسوبة إليه من بني العباس بن عبد المطلب، وفيها قبور عليها نصائب تاريخها بعد الثلاث مئة، ذكره الحافظ أبو محمد القاسم ابن البرزالي فيما وجدته بخطه"، فلا أظنه ينفي نسبة الجبال المنحوتة لثمود، وليس هذا لازماً لكلامه، وإنما أن صالحاً المنسوبة إليه –والنسبة متأخرة– ليس النبي الكريم، وقد حُفظ موت جماعة في حجر ثمود فلعل صالحاً العباسي مات هناك فنسب الموضع إليه.

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٦/٥/ح٤٠٦٤) ط.التأصيل.

غيره[١]، ورُوي عن مجاهد (رحمه الله): كان مؤمناً وحده، والناس كفار كلهم[٢].

وأما ما بين إبراهيم ومحمد (عليهما السلام) فقد تقدم قرب زمن موسى من يوسف (عليهما السلام) قرباً نسبياً، وقد نُقل أن في التوراة تفصيل للزمن على هذا النحو: بين إبراهيم وموسى (عليهما السلام) سبعمئة عام، وبين موسى وداود (عليهما السلام) خمسمئة عام، وبين داود وعيسى (عليهما السلام) ألف ومئتي عام، وبين عيسى ومحمد (عليهما السلام) ستمئة وعشرون عاماً[٣]، ما مجموعه: ثلاثة آلاف وعشرون سنة، وعندهم اضطرابات واختلافات كثيرة بين النسخ والطوائف، وهم أهل كذب، وليسوا مؤتمنين على علم، وعند مقارنة هذه المدد مع تسلسل نسب هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) عندهم تجده يقرب من التطابق بحساب مئة سنة لكل اسم!

وهم يؤرخون بالسنة الشمسية[٤]، فإذا أردنا نقل ذلك للقمرية فتكون المدة ثلاثة آلاف ومئة وإحدى عشرة سنة.

وهذه المدة هي أقل ما يمكن أن يكون.

فتحصل مما سبق تقريره أن مجمل ما يمكن أن يقال فيما مضى من الزمان: عمر آدم (عليه السلام) ألف سنة.

وبينه وبين نوح (عليه السلام) عشرة قرون، وإذا حُسبوا بنصف أعمارهم كانت نحو خمسة آلاف.

ومكث نوح (عليه السلام) في قومه ألف سنة إلا خمسين.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور لابن أبي حاتم في التفسير (٩/١٣٠).

(٢) رواه يحيى بن سلام (١/٩٧)، ويُنظر: مجموع الفتاوى (١١/٤٣٦).

(٣) المعارف لابن قتيبة ص٥٦.

(٤) فتح الباري لابن رجب (٣/١٥٠).

وبينه وبين هود (عليه السلام) قرون انتشر فيها الخلق ولتكن عشرة قرون، ونصف أعمارهم نحو أربعة آلاف.

ثم بُعث صالح (عليه السلام) ولبث ما شاء الله في قومه، وليكن ما بينه وبين عاد ألف سنة فقط.

ثم الفترة المجهولة الطويلة إلى بعث إبراهيم (عليه السلام)، والتي استوت فيها أجسام الخلق قريباً من أجسامنا، ولتكن مجهولة التقدير.

ثم من إبراهيم (عليه السلام) إلى يومنا هذا أربعة آلاف وخمسمئة وخمسون سنة.

فهذه ستة عشر ألفاً وخمسمئة وخمسون سنة، دون احتساب الفترة المجهولة التي قد تكون مثل هذه المدة أو تزيد.

المبحث الثاني
في الأحاديث المشكلة في قدر الدنيا أو بقاء الأمة فيها

قد رُوي في هذا أحاديث مرفوعة صريحة العدد لا يُشتغل بمثلها، وإنما الأحسن حالاً منها ما اشتمل على إشارة مقدرة لما مضى أو ما بقي لهذه الأمة دون ذكر عدد.

المطلب الأول
حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)

روى جماعة عن علي بن زيد بن جُدعان عن أبي نضرة المنذر بن مالك عن أبي سعيد (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث طويل وأصله خطبة؛ وفي آخره: "فلما كان عند مغيربان الشمس قال: ألا إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه".

تخريج الحديث والحكم عليه:

رواه الإمام أحمد (١٧/٢٢٧/ح١١١٤٣).

والترمذي في أبواب الفتن عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، باب ما جاء ما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة (٢١٩١) **وحسنه**.

وابن ماجه في أبواب الفتن، باب فتنة النساء (٤٠٠٠).

وأبو يعلى في مسنده (٢/٣٥٢) برقم: (١١٠١).

والحاكم في المستدرك (٤/٥٠٥) برقم: (٨٦٣٨)، وغيرهم.

وعلي بن زيد بن جُدعان التيمي البصري: لين الحديث عند الحفاظ كأحمد وابن معين والرازيين وغيرهم على كثرة مروياته [(١)].

(١) **يُنظر:** تهذيب الكمال (٢٠/٤٣٤)، وتقريب التهذيب (٤٧٦٨).

فالحديث فيه ضعف، إلا أن كثيراً من الخصال التي اشتملت عليها هذه الخطبة رواها الثقات متابعين لعلي بن زيد كقتادة[(١)]، وأبي مسلمة سعيد بن يزيد –من رجال الشيخين–[(٢)]، وخليد بن جعفر[(٣)]، والمستمر بن الريان –من رجال مسلم–[(٤)]، وغيرهم.

وهذا يدل على أن علياً حفظ عامة هذا الحديث ولعل هذه الجملة التي هي من آخره –وإن لم يتابعه هؤلاء عليها– تكون مما حفظه، فإن وصف الراوي بأنه لين ليس معناه أنه لا يضبط أبداً وإلا لكان حرياً بالترك، ولا يصح أن يُقبل في دين الله كذلك ما يرويه الضعفاء، لكن من كان ضعفه يسيراً كعلي، ثم قامت القرائن على حفظه للحديث المعين فحينها يقبل، كما أن الثقة متى قامت القرائن على عدم حفظه للحديث المعين فإنه يرد.

ولذا قال ابن حجر: "**وعلي بن زيد وإن كان فيه ضعف لاختلاطه لكن سياقه لهذا الحديث بطوله يدل على أنه ضبطه**"[(٥)].

---

(١) **كجملة:** "لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق إذا رآه أو عرفه"، رواه أحمد (٢٥٠٣/٥) برقم (١٢٠٤٩).

(٢) **كجملة:** "إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله سيخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء"، رواه ابن حبان (٣٢٢١)، وغيره.

(٣) **كجملة:** " كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة تمشي مع امرأتين طويلتين ..."، رواه مسلم (٢٢٥٢)، وغيره.

(٤) **كجملة:** "لا يمنعن أحدكم مخافة رجل – أو مخافة بشر – أن يتكلم بالحق إذا رآه، أو علمه ..."، رواه أبو يعلى (١٢٩٧)، وغيره.

(٥) كما في الأمالي المطلقة ص١٧٠.

ويشهد لهذا أن مطراً الوراق قد تابعه عليها، كما رواه ابن أبي عاصم في الزهد (١٨٩) -وعنه أبو الشيخ في الأمثال (٢٨٣)-، والبيهقي في الشعب (٧٤٣١)، وابن حجر في الأمالي المطلقة (١٣٢) بإسناد صحيح إليه.

ومطر بن طهمان الوراق: قال عنه ابن معين والرازيان: "صالح"، وضعفه الإمام أحمد في عطاء، وقال النسائي: ليس بالقوي، فما لخصه الحافظ بأنه: "صدوق كثير الخطأ" قريب من الصواب[1].

فالخلاصة: أن الحديث -وخاصة موضع الشاهد منه- **جيد**، والله أعلم.

فقه الحديث:

قال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ): "وفي بعض ألفاظهم (وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء؟) وهذا يدل على أن الذي كان قد بقي من النهار نحو العشر من العشر، وهذا يقتضي إذا اعتبرنا ما مضى لهذه الأمة من الزمان أن يكون الماضي من الدنيا من خلق آدم (عليه السلام) في يوم الجمعة الذي يلي الستة الأيام التي خلقت فيها السماوات والأرض أكثر من مائة ألف سنة والله أعلم"[2].

وإذا أجرينا طريقته في زمننا هذا باعتبار أن مدة هذه الأمة هي عشرُ عشرِ ما مضى من الدنيا يكون لآدم (عليه السلام) مئة وخمسون ألف سنة.

وهذا منزع جيد، ويؤيد هذا الفهم منه: ما مضى في المبحث الأول مما يدل على طول مدة ما مضى من الزمان.

---

(١) **ينظر**: تهذيب الكمال (٢٨/٥١)، وتقريب التهذيب (٦٧٤٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/٣٨٨).

المطلب الثاني

حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)

عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) وهو قائم على المنبر: "إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُعطي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم القرآن، فعملتم به حتى غروب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين، قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجراً! قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟، قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء".

تخريج الحديث:

رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٧٤٦٧)، ومواضع أخرى.

فقه الحديث:

اختلفت أنظار العلماء في فهم هذا الحديث.

لكن يجب أن يُنفى أولاً ما قد يُفهم من أن مدة بقاء هذه الأمة مقارنة بأهل التوراة وأهل الإنجيل الذين ضرب النبي (ﷺ) بهم المثل في الحديث أنها أقل منهم، فإن المعنى لا يستقيم؛ إذ مدة أهل الإنجيل ستمئة سنة أو أقل كما هو معلوم[١]، وأمتنا زادت عليها الضعف وثلثه، فتبين عدم صحة حمل الحديث

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٩٤٨) أن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: "فترة ما بين عيسى ومحمد (عليهما السلام) ستمئة سنة".

على مدة بقاء الأمة أصلاً على أي وجه.

وهل نص الحديث على (الأمم) في غالب ألفاظه يدل على أن المقارنة ليست بين اليهود والنصارى فقط وبين أمتنا؟

أجاب عن هذا ابن رجب (رحمه الله) **فقال:** "إنما أراد به -والله أعلم- أتباع موسى وعيسى (عليهما السلام)، وقد سمى الله بني إسرائيل بانفرادهم أمماً فقال: **{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا}** [سورة الأعراف: ١٦٨] ولهذا فسر النبي (ﷺ) ذلك بعمل أهل التوراة بها إلى انتصاف النهار، وعمل أهل الإنجيل به إلى العصر، وعمل المسلمين بالقرآن إلى غروب الشمس"(١).

وهذا الفهم أعني الظن بأن الأمة قد لا تبلغ مدة النصارى ذهب إليه بعض من تقدم من شراح الحديث الذين ما أدركوا مضي مدة هذه الأمة فوق مدة النصارى بكثير(٢).

ولا يصح كذلك حمل الحديث على أنه عن مدة هذه الأمة في مدة كل من سبقها من الأمم، إذ تكون هذه الأمة ربع مدة الدنيا، لأن نسبة العصر من سائر اليوم الربع تقريباً، وفيما سبق كفاية في بيان طول مدة الأمم السابقة(٣)، ومما يدل على قلة مدة هذه الأمة حديث: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، ويقرن بين السبابة والوسطى، وسيأتي، وسائر ما ورد في الكتاب والسنة عن قرب الساعة

(١) كما في فتح الباري (١٤٥/٣).

(٢) كالإمام ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) في تاريخه (١١/١-١٧)، ذهب إليه من مجموع دلائل منها حديث ابن عمر.

(٣) **قال ابن رجب:** "مدة هذه الأمة بالنسبة إلى مدة الدنيا من أولها إلى آخرها لا يبلغ قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس بالنسبة إلى ما مضى من النهار، بل هو أقل من ذلك بكثير" كما في الفتح (١٤٥/٣).

الذي هو قرب نسبي بالنسبة لما مضى وما بقي كله يدل على أن كل ما تمكثه هذه الأمة فإنه قريب من الساعة وهذا يدل على بعد ما بين الأمم السابقة وما بين الساعة.

وقيل: المراد تشبيه من تقدم بأول النهار إلى الظهر والعصر في كثرة المشاق والتكليف، وتشبيه هذه الأمة بما بين العصر والليل في قلة ذلك وتخفيفه، وليس المراد طول الزمان وقصره إذ مدة هذه الأمة أطول من مدة أهل الإنجيل[(١)].

وقيل: أن عملها أسهل، وأعمار المكلفين أقصر، والساعة إليهم أقرب، فجاز لذلك أن يقلل زمان عملهم[(٢)].

وهذان القولان نتيجتهما واحدة، وهما أقرب ما يفسر به الحديث، وشرح ذلك:

أن هذا البقاء المذكور محمول على مدة عيش الأفراد مع عمل الطاعة، وذلك أن هذه الأمة أعمارها بين الستين إلى السبعين كما في الحديث[(٣)]، فإذا كانت أمة

(١) فتح الباري لابن حجر (٤٠/٢)، وانظر: التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٠٨/٦ فما بعدها)، التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (١٨٠/٤).

(٢) ابن الجوزي في كشف المشكل (٤١٦/١)، ورجح نحوه ابن كثير في البداية (٧٦/٣).

(٣) رواه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله (ﷺ) (٣٥٥٠)، وابن ماجه في أبواب الزهد، باب الأمل والأجل، (٤٢٣٦)، وابن حبان في "صحيحه" (٢٤٦/٧) برقم: (٢٩٨٠) وغيرهم من طريق عبد الرحمن المحاربي عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ)، والمحاربي وإن كان من رجال الصحيحين إلا أنه وُصف بأنه يدلس، والحديث رُوي عنه بالعنعنة، قال الترمذي: "حسن غريب"، **لكن ظاهر إسناده الحسن**، ورواه الترمذي (٢٣٣١) أيضاً من طريق كامل=

الإنجيل من السبعين إلى الثمانين -مثلاً- فقد صدق أنهم أطول بقاءً، وإذا كانت أمة التوراة من المئة إلى المئة وعشر فقد صدق أننا بالنسبة لهم نحو نصف البقاء، هذا وجه.

ووجه آخر وهو أن أمتي التوراة والإنجيل كانوا أهل ترهب وانقطاع للعمل، فعملهم الآحادي أكثر من عمل هذه الأمة بكثير، لكن ضاعف الله لهذه الأمة الأجور؛ الحسنة بعشر أمثالها، فمن عاش منهم خمسين سنة كأنه عاش خمسمئة، وخصهم بليلة القدر التي من أدركها منهم خمسين سنة كأنه عمر أربعة آلاف سنة وزيادة، وذلك فضله (ﷻ) يؤتيه من يشاء.

ثم كتب الله لمن مرض أو سافر أجر ما كان يعمله صحيحاً مقيماً.

ووعد بالأجر الكبير على العمل اليسير، ورفع الحرج عن الأمة.

ومما يدل على صحة هذا التأويل: أن الحديث خرج مخرج المثل، وفيه فضل الله على هذه الأمة، ولم يخرج مخرج الدلالة على أجل كل أمة، ولذا فليس من الحسن أن يقال: ظاهره يدل على أن أجل هذه الأمة أقل من أجل النصارى، بل يقال: إن ضرب المثل والتشبيه له صورة مقصودة وتعرف بجمع الأوجه المحتملة للتشبيه أو المثل ثم تنقيحها كعمل الفقهاء في تنقيح المناط، لكن يُتوصل إلى تحقيق المعنى أو المناط الصحيح.

=أبي العلاء عن أبي صالح ميناء عن أبي هريرة (ﷺ) مرفوعاً، وكامل ينفرد ويخالف، وميناء ليس بالمشهور، وذكر ابن عدي الحديث في ترجمة كامل (٨/٦٩٤)، وأقوى من هذا اللفظ ما رواه معن الغفاري عن المقبري عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنه قال: "أعذر الله إلى امرئ أخّر عمره حتى بلغ ستين سنة"، هكذا رواه البخاري (٦٤١٩)، ورواه الإمام أحمد (٧٧١٣) عن عبد الرزاق عن معمر عن رجل من بني غفار -ولعله معن هذا- به إلا أنه قال: "ستين أو سبعين"، فلعله أصل الحديث، أو يكون صح باللفظين.

المطلب الثالث

حديث سهل بن سعد (رضي الله عنه)

قال سهل بن سعد (رضي الله عنه): رأيت رسول الله (ﷺ) قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: "بعثت والساعة كهاتين".

تخريج الحديث:

رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة (والنازعات) (٤٩٣٦).
ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥٠).

فقه الحديث:

دل الحديث على قرب مبعث النبي (ﷺ) من قيام الساعة، وقد وقع خلاف بين أهل العلم في المراد بالتشبيه كذلك في هذا الحديث:

فذهب قتادة وجماعة بعده إلى أن المراد: نسبة ما بين أصبع الوسطى والسبابة في الطول، ثم أخذ من هذا بعض أهل العلم قياس الزمن المتبقي من الدنيا وأنه بقدر فضل طول الوسطى على السبابة[(١)].

وذهب آخرون إلى أن المعنى: ليس بيني وبين الساعة نبي، وأن الساعة قريبة بقرب السبابة والوسطى، وهذا بالنسبة لما مضى من الدنيا[(٢)].

ويدل على صحة المعنى الثاني دون الأول:

١- أن النبي (ﷺ) قد استعمل نفس هذه الإشارة في موضع آخر على معنى

(١) تاريخ الطبري (١٦/١)، أعلام السنن للخطابي (٢٠٣٧/٣).

(٢) الفصل لابن حزم (٨٤/٢)، والإفصاح لابن هبيرة (٣٥٣/٨)، وأما الحافظ ابن حجر في في الفتح فحكى ولم يرجح (٣٤٩/١١).

القرب والمجاورة وليس على معنى فضل ما بين الأصبعين، وهو ما ثبت عنه (ﷺ) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: "كافل اليتيم له أو لغيره؛ أنا وهو كهاتين في الجنة" وأشار مالك بالسبابة والوسطى[(١)].

٢- **وكذلك فإن بريدة (رضي الله عنه) قال:** سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "بعثت أنا والساعة جميعاً، إن كادت لتسبقني"[(٢)]، وهو **حديث حسن**، وهذا الحديث بهذا اللفظ كالتفسير للفظ الآخر بأن المراد القرب الشديد أي بالنسبة لما مضى، وليس فضل ما بين الأصبعين.

وهذا القرب الشديد جعل جمعاً من أهل العلم في قرون متعددة يستظهرون ظهور أشراط الساعة الكبرى قريباً منهم، ولم يقع ظنهم الموقع الصحيح، والله (عز وجل) يقول: {إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [سورة طه: ١٥]، أي: عن نفسي؛ من شدة خفائها.

ومن ذلك:

ما قاله وهب بن منبه (ت: ١٠٣هـ) (رحمه الله) وهو مما يرويه عن أهل

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٢).

(٢) رواه أحمد (٥٤٣٨/١٠) برقم: (٢٣٤١٣) والبزار (٢٩٠/١٠) برقم: (٤٤٠٢)، من طريق بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، وقد خرج مسلم بهذه السلسلة حديثاً، وعبد الله بن بريدة من رجال الشيخين، وبشير وثقه ابن معين، وقال النسائي: لا بأس به، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الإمام أحمد: منكر الحديث، (تهذيب الكمال (١٧٦/٤)، وهو هنا لم يقع منه رواية ما يُنكر، ولم يتفرد بأصل، وقد حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٥٥/١١)، وله شاهد من حديث المستورد بن شداد ووهب السوائي ولا يصحان.

الكتاب: "قد خلا من الدنيا يعني خمسة آلاف سنة وستمئة سنة، إني لأعرف كل زمان منها ما كان فيه من الملوك والأنبياء"، قال الراوي: قلنا لوهب كم الدنيا؟ قال: ستة آلاف سنة"[(١)].

واستنبط ابن جرير الطبري (ت: ٣١١هـ) بمجموع الآثار أن عمر الأمة خمسمئة[(٢)].

وقال السهيلي (ت: ٥٨١هـ) (رحمه الله): بعد أن ذكر أن الحروف المقطعة في القرآن عدتها بالحساب الأبجدي تسعمئة وثلاثة: "ولم يسم الله (سبحانه وتعالى) في أوائل السور إلا هذه الحروف، فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من السنين"، ثم قرر أن الساعة لا تأتي إلا بغتة[(٣)].

وقال الحافظ السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) (رحمه الله): وهو يذكر مجددي كل مئة: "وفي التاسعة: المهدي –ظناً– أو المسيح (عليه السلام)، فالأمر قد اقترب، والحال قد اضطرب"[(٤)].

وكذا الجلال السيوطي (ت: ٩١١هـ) (رحمه الله): فإنه رد على بعض أهل زمانه الذين كثر بينهم القيل بأن الساعة دون الألف، فرد عليهم بأن "الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمئة

(١) العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد رواية عبد الله (١/٥١٧/ف١٢١١).

(٢) تاريخه (١/١٧).

(٣) الروض الأنف (٤/٤٢١)، وزيف الحافظ ابن حجر في الفتح إشارة السهيلي من وجوه متعددة (١١/٣٥١).

(٤) المقاصد الحسنة (٢/٣١) ط.دار الميمنة.

سنة"[(١)].

وتكاثر كلام أهل العلم في الأمر بالتزام تسليم العلم بوقت قيام الساعة إلى الله (ﷻ) والنهي عن تكلف الكلام في توقع زمن قيامها، وقد أحسن ابن كثير (رحمه الله) إذ يقول: "ومع هذا لا يعلم مقدار ما بقي على التعيين والتحديد إلا الله تعالى، كما لا يعلم مقدار ما مضى منها إلا الله (ﷻ)، والذي في كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومئين من السنين قد نص غير واحد من العلماء على تخطئتهم فيه، وتغليطهم، وهم جديرون بذلك حقيقون به، وقد ورد في حديث (الدنيا جمعة من جمع الآخرة) ولا يصح إسناده، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد بوقت يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده"[(٢)].

(١) الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف ص٢٣.

(٢) البداية والنهاية (٣١/١٩)، وينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤٨/٣)، والحليمي في المنهاج في شعب الإيمان (٣٤٣/١).

الخاتمة

إلى هنا فرغ ما قصدت ذكره هنا مختصراً، وألخص في نقاط أبرز ما تقرر فيه:

١- أن ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جداً، ومع هذا لا يعلم مقدار ما بقي على التعيين والتحديد إلا الله تعالى، كما لا يعلم مقدار ما مضى منها إلا الله (ﷻ).

٢- أن الأصل في مصطلح (القرن) في موارده الشرعية أن المراد به الأمة من الناس، أو الطبقة من الجيل دون تحديد سنوات معينة.

٣- أن الأمثال إذا ضربت فإن الأمر لا يستلزم المطابقة من كل جهة، وإنما قد يراد جانب من الأطراف التي ضرب المثل بها، فينبغي أن يقع التأمل الشديد في الأمثال في الكتاب والسنة حتى تفهم فهماً صحيحاً دون جنف أو جنوح.

٤- أن الأحاديث الواردة في آجال هذه الأمة متوافقة غير متضاربة، فأما حديث أبي سعيد فيدل على أن مقدار مكث هذه الأمة في آجال الأمم السابقة هو يسير جداً بقدر ما يتبقى من النهار إذا شارفت شمسه على الغروب، وأما حديث ابن عمر ففيه مقارنة الأعمال دون مقارنة مدة الأمم.

٥- هذا الموضوع تتشابك فيه علوم كثيرة كعلم التفسير والحديث والتاريخ والنسب والجغرافيا وغيره، والذي يريد أن يستقصيه سيحصل في النهاية على مادة كبيرة نافعة.

المصادر والمراجع

١. الإبانة، لابن بطة، ط. الصميعي.
٢. الأسماء والصفات، للبيهقي، ط. السوادي.
٣. الأمالي المطلقة، لابن حجر، ط. المكتب الإسلامي.
٤. أمثال الحديث، لأبي الشيخ الأصبهاني، ط. السلفية.
٥. البداية والنهاية، لابن كثير، ط. هجر.
٦. تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير، ط. الكتب العلمية.
٧. تاريخ دمشق، لابن عساكر، ط. الفكر.
٨. تاريخ ابن خلدون، ط. الفكر.
٩. تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، ط. دار الكتاب العربي.
١٠. التفسير، لسعيد بن منصور، ط. الألوكة.
١١. التفسير، ليحيى بن سلام.، ط. الكتب العلمية.
١٢. التفسير، لابن أبي حاتم، ط. نزار الباز.
١٣. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط. طيبة.
١٤. تقريب التهذيب، لابن حجر، ط. الرشيد.
١٥. التنوير شرح الجامع الصغير، للأمير الصنعاني، ط. دار السلام.
١٦. تهذيب اللغة، للأزهري، إحياء التراث.
١٧. تهذيب الكمال، للمزي، ط. الرسالة.
١٨. التوحيد، لابن خزيمة، ط. الرشد.
١٩. التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن الملقن، ط. النوادر.
٢٠. توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين، ط. الرسالة.
٢١. الجامع للترمذي، ط. الغرب الإسلامي.

٢٢. جامع البيان لتفسير آي القرآن، لابن جرير، ط. هجر.
٢٣. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، دار إحياء التراث.
٢٤. جمع الجيوش والدساكر، لابن المبرد
٢٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ط. العاصمة.
٢٦. الدر المنثور، للسيوطي، ط. الفكر.
٢٧. الرد على الجهمية، لعثمان بن سعيد الدارمي، ط. ابن الأثير.
٢٨. الروض الأنف للسهيلي، ط. دار إحياء التراث العربي.
٢٩. الزهد، لابن أبي عاصم، ط. دار الريان.
٣٠. سنن أبي داود، ط. الرسالة.
٣١. سنن ابن ماجه، ط. الرسالة.
٣٢. السنن الكبرى، للبيهقي، ط. هجر.
٣٣. السنن الكبرى، للنسائي، ط. الرسالة.
٣٤. السنة، لأبي بكر الخلال، ط. الراية.
٣٥. السنة، لابن أبي عاصم، ط. المكتب الإسلامي.
٣٦. الشريعة، لأبي بكر الآجري، ط. الوطن.
٣٧. شعب الإيمان، للبيهقي، ط. الرشد.
٣٨. صحيح البخاري، ط. السلطانية.
٣٩. صحيح مسلم، ط. السلطانية.
٤٠. صحيح ابن حبان، الترتيب لابن بلبان، ط. الرسالة.
٤١. الطبقات الكبرى لابن سعد، ط. صادر.
٤٢. العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد رواية عبد الله، ط. الخاني.
٤٣. فتح الباري، لابن رجب الحنبلي، ط. الغرباء.
٤٤. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ط. السلفية الثالثة.

٤٥. الفصل في الملل والنحل، لابن حزم، ط. الخانجي.
٤٦. القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ط. الرسالة.
٤٧. القدر، للفريابي، ط. أضواء السلف.
٤٨. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، الكتب العلمية.
٤٩. كشف الأستار عن زوائد البزار، لابن حجر، ط. الرسالة.
٥٠. كشف المشكل من أحاديث الصحيح، لابن الجوزي، ط. الوطن.
٥١. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع ابن قاسم.
٥٢. المحكم، لابن سيده، ط. الكتب العلمية.
٥٣. المراسيل، لابن أبي حاتم، ط. الرسالة.
٥٤. مروج الذهب، للمسعودي، ط. عالم الكتب.
٥٥. المسالك، للأصطخري، ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٥٦. المسالك، للبكري، ط. الغرب الإسلامي.
٥٧. المستدرك، للحاكم، ط. الكتب العلمية.
٥٨. المسند (البحر الزخار)، للبزار، ط. مكتبة العلوم والحكم.
٥٩. المسند لأبي داود الطيالسي، ط. هجر.
٦٠. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ط. الرسالة.
٦١. المسند لأبي يعلى، ط. دار المأمون للتراث.
٦٢. مسند الشاميين، للطبراني، ط.الرسالة.
٦٣. المصنف، لابن أبي شيبة، ط. كنوز اشبيليا.
٦٤. مصنفات أبي جعفر ابن البختري، ط.دار البشائر.
٦٥. المعارف، لابن قتيبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦٦. معاني القرآن، للزجاج، ط. عالم الكتب.
٦٧. المعجم الكبير، للطبراني، ط. ابن تيمية.

٦٨. المعجم الأوسط، للطبراني، ط. دار الحرمين.
٦٩. المقاصد الحسنة، للسخاوي، ط. دار الميمنة.
٧٠. مقام إبراهيم، لمحمد بن طاهر الكردي.
٧١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ط. دار الكتاب الإسلامي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البحث باللغة العربية	٢٤٦٧
البحث باللغة الإنجليزية	٢٤٦٨
المقدمة	٢٤٦٨
المبحث الأول: فيما جاء في قدر بعض الزمان من لدن آدم (عليه السلام) إلى مبعث النبي (ﷺ).	٢٤٧٠
• **المطلب الأول:** في عمر آدم (عليه السلام)	٢٤٧٠
• **المطلب الثاني:** في المدة بين آدم ونوح (عليهما السلام)	٢٤٧٦
مسألة في المراد بالقرن	٢٤٧٩
• **المطلب الثالث:** في المدة بين الطوفان إلى هود ثم صالح	٢٤٨٣
• **المطلب الرابع:** في المدة بين صالح وإبراهيم (عليهما السلام) ثم إلى نبينا محمد (ﷺ)	٢٤٨٥
المبحث الثاني: في الأحاديث المشكلة في قدر الدنيا أو بقاء الأمة فيها	٢٤٩٢
• **المطلب الأول:** حديث أبي سعيد الخدري	٢٤٩٢
• **المطلب الثاني:** حديث عبد الله بن عمر	٢٤٩٥
• **المطلب الثالث:** حديث سهل بن سعد	٢٤٩٩
الخاتمة	٢٥٠٤
فهرس المراجع	٢٥١٤
فهرس الموضوعات	٢٥٠٨

تم بحمد الله